

الإمام علي الهادي

(عليه السلام)

تأليف
سيد مهدي آيت الله

ترجمة
كمال السيد

الميلاد :

وُلد الإمام علي الهادي في 15 ذي الحجة سنة 212 هجرية في المدينة المنورة .

أبوه : الإمام محمد الجواد (عليه السلام) ، والإمام الهادي هو الإمام العاشر من أئمة أهل البيت .

أمه : مغربية ؛ امرأة فاضلة تقية اسمها " سمانة " .
استشهد أبوه مسموماً وله من العمر 8 سنوات فتصدى إلى الإمامة وهو في هذه السن .

دعاه الناس بألقاب عديدة ؛ من بينها : المرتضى ، الهادي ، النقي ، العالم ، الفقيه ، المؤتمن ، الطيب . وأشهرها : الهادي والنقي .

أخلاق الإمام :

عاش الإمام حياته زاهداً عابداً ، في حجرة خالية ليس فيها من متاع الدنيا شيء سوى حصير ، يقضي وقته في قراءة القرآن وتدبر معانيه .

يستقبل الناس بوجه بشوش ، يعطف على فقيرهم ويساعد محتاجهم .
أرسل له الخليفة المتوكل مبلغ ألف دينار ، فوزعها الإمام بين الفقراء والبائسين .

ومرض المتوكل يوماً فحار الأطباء في علاجه ، فأرسلت أمه وزيره " الفتح بن خاقان " إلى الإمام ، فوصف له دواءً سرعان من بأن أثره ، وأدهش الأطباء ، فبعثت أم المتوكل مبلغ ألف دينار هدية ، فوزعها الإمام على المحتاجين .

حكاية الفص :

دخل " يونس النقاش " على الإمام وهو يرتجف خوفاً ، وبادر الإمام قائلاً : يا سيدي جاءني رجل من القصر ومعه " فصّ فيروز " ثمين ، وطلب مني أن أنقش عليه ، فانكسر أثناء العمل وأصبح نصفين ، وسيرسل عليّ غداً ولا آمن أن يبطش بي إذا عرف ذلك .



فطمأنه الإمام وقال : لن يصلك منه سوء ، بل سيصيبك خير من ذلك بإذن الله .
وفي اليوم التالي جاء حاجب الخليفة قائلاً : لقد غيرت رأبي فلو شطرته نصفين
، وسأضعف لك الأجر .
تظاهر " النقاش " بالتفكير ، وقلبه يطير فرحاً وقال : حسناً ، سأجهد نفسي
في ذلك .
شكر الحاجبُ النقاشَ ومضى لشأنه ، فيما انطلق النقاش إلى منزل الإمام
ليقدم له شكره .
وقال له الإمام : لقد دعوت الله أن يريك خيره ويحميك من شرّه .

المتوكل :

توفي " المعتصم " وجاء بعده الواثق ، وكانت مدة خلافته خمس سنين وتسعة
اشهر .



وجاء بعده إلى الحكم الخليفة " المتوكل " ، وفي عهده انتشر الفساد والظلم ،
واتسع نفوذ الأتراك في الحكم حتى أصبحوا الحكام الفعليين ، وصارت الخلافة لعبة في
أيديهم .

وبلغ حقد التوكل على أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم أن أمر بفتح
النهر على قبر سيدنا الحسين (عليه السلام) ومنع المسلمين من زيارته وقتل عدداً
كثيراً من الزوّار ؛ وإلى ذلك يشير الشاعر :

تالله إن كانت أمية قد أتت | قتل ابن بنت نبيها مظلوماً

فلقد أتته بنو أبيه بمثله | فغدا لعمرك قبره مهدوماً

أسفوا على ألا يكونوا شاركوا | في قتله ، فتتبعوه رميماً

كان المتوكل قد فرض رقابة شديدة على الإمام في المدينة المنورة ، وكان
الجواسيس ينقلون له مباشرة حركات الإمام وأحاديثه .



خاف المتوكلُ بعد أن أصبح الإمام شخصية مرموقة محبوبة من قبل الناس ،
فلقد كان يُحسن إليهم ويقضي أكثر وقته في المسجد الشريف .
أرسل المتوكل مبعوثاً خاصاً لإحضار الإمام ، ودخل " يحيى بن هرثمة " المدينة
المنورة .

وانتشرت شائعات حول أهداف المتوكل ، واجتمع الناس حول محل إقامة مبعوث
المتوكل للتعبير عن قلقهم بشأن مصير الإمام .

يقول " يحيى بن هرثمة " نفسه : فجعلت أطمئنهم وأحلف لهم بأنني لم أوامر
فيه بمكروه .

كان المتوكل يفكر في طريقة للحطّ من مكانة الإمام (عليه السلام) فاقترح بعض مستشاريه أن يشوش على سمعة الإمام الهادي بالاستفادة من أخيه " موسى " وكان سيئ السيرة منحرف الأخلاق .

ورحب المتوكل بهذه الفكرة ، فأرسل وراء موسى ، وكان الإمام الهادي قد حذر أخاه قائلاً : إنّ الخليفة قد أحضرك ليهتكك ويضع من قدرك فاتق الله يا أخي ولا ترتكب محظوراً .

ولم يصغ موسى إلى نصيحة الإمام ، وأصرّ على موقفه ، ويبدو أن المتوكل قد احتقره فلم يستقبله أبداً .

كلمة حق أمام سلطان جائر :

كان " ابن السكيت " عالماً كبيراً ، قال " أبو العباس المبرّد " ما رأيت للبغداديين كتاباً أحسن من كتاب " ابن السكيت في المنطق " .



طلب المتوكل من ابن السكيت أن يشرف على تربية ولديه : " المعتز " و " المؤيد " .

فسأله ذات يوم : أيهما احب إليك ؛ ابناي هذان أم الحسن والحسين فقال العالم بشجاعة : والله إن قنبراً خادم علي بن أبي طالب خير منك ومن ولديك .

فوجئ المتوكل بجواب ابن السكيت واستشاط غضباً وأمر جلاوزته من الأتراك أن يستلوا لسانه من قفاه ؛ فمضى إلى ربّه شهيداً .

لقد قال سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله) : سيد الشهداء حمزة ورجل قال كلمة عند سلطان جائر .

سياسة المتوكل :

كان المتوكل يتلاعب بأموال المسلمين ، وكانت حياته كلها ترف وبذخ ، وقضى عمره في السكر والعريضة واللهو ، وبيع الملائين ، فيما يعيش الناس في حياة صعبة ، وفي فقر وبؤس . أما العلويون فقد كانوا يعيشون حالة من الفقر المدقع ، محرومين من أبسط حقوقهم في الحياة الكريمة .

استدعي الإمام الهادي (عليه السلام) إلى سامراء فوصلها مع ابنه الحسن (عليه السلام) وأنزل في إحدى الخيام حيث يربط جيش المتوكل هناك ، ليكون تحت مراقبة جنود غاية في القسوة والشدة والجهل بمنزلة أهل البيت (عليهم السلام) ، فقد كانوا أتراكا غلاظاً ساعدت بيئتهم وتربتهم في تكوين شخصية لا تعرف غير طاعة الملوك والحكام .

حكايات :

كان لأحدهم ابنٌ تصيبه الحصاة أي في كليته حصى ، فنصحه الطبيب بالجراحة ، وعندما أجريت العملية مات الصبي ، فلامه الناس وقالوا :
قد قتلت ولدك وأنت شريك في دمه .



فاشتكى ذلك إلى الإمام .

فقال الهادي (عليه السلام) : ليس عليك فيما فعلت شيء ، إنما التمسيت له الدواء وكان أجله في ذلك .

وقدّم له صبيّ وردة فأخذها وقبّلها و وضعها على عينيه ، ثم ناولها إلى أحد أصحابه وقال : من تناول وردة أو ريحانة فقبلها ووضعها على عينيه ثم صلّى على محمد وآل محمد كتب الله له من الحسنات مثل رمل " عالج " ^[1] ومحا عنه من السيئات مثل ذلك .

يروى " يحيى بن هرثمة " الذي أشرف على سفر الإمام من المدينة إلى سامراء قائلاً : كنا نسير والسماء صحو ، فأمر الإمام أصحابه أن يهَيئوا ما يقيهم من المطر ن فتعجب بعضنا وضحك آخرون ، فما هي إلا دقائق حتى اكتظت السماء بالغيوم وهطل المطر ، والتفت الإمام إليّ وقال :

لقد أنكرت ذلك ثم ظننت أنني أعلم الغيب وليس ذلك كما تظن ، ولكنني نشأت في البادية ، فأنا أعرف الرياح التي يعقبها المطر ، وقد هبّت ريح شممت فيها رائحة المطر ، فتأهبت لذلك .

نذر المتوكل يوماً عندما أصيب بوعكة صحية أن يتصدّق بمال كثير ولم يعيّن مقداره .

ولما أراد الوفاء بنذره اختلف الفقهاء في تحديد المبلغ ، ولم ينتهوا إلى نتيجة ، فأشار عليه البعض أن يسأل أبا الحسن علي الهادي (عليه السلام) .

وعندما سئل الإمام عن الكثير قال : إنّ الكثير ثمانون ، فسئل عن دليله على ذلك ، فأجاب الإمام : قال سبحانه وتعالى : " لقد نصركم الله في مواطن كثيرة " فعددنا تلك المواطن " المعارك الإسلامية " فكانت ثمانين .

اقتحام منزل الإمام :

بالرغم من الإقامة الجبرية المفروضة على الإمام الهادي (عليه السلام) فإنه لم يسلم من الوشايات والاتهامات الباطلة .



فقد نقل أحدهم إلى المتوكل بأن الإمام يجمع السلاح والأموال للشورة ، فأمر المتوكل سعيد الحاجب أن يقتحم المنزل ليلاً ويتأكد من صحة الأخبار . وعندما اقتحم المنزل وجد الإمام في حجرة خالية تماماً إلا من حصير وكان الإمام يصليّ بخشوع .

وقد فتش المنزل بدقّة فلم يعثر على أي شيء فقال الحاجب معترفاً :
يا سيدي إني مأمور ومعذور .
فردّ الإمام بحزن : " و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " .

بركة السباع :

ادّعت امرأة أنها زينب بنت علي (عليه السلام) ، وأن شبابها يتجدد كل خميس سنة ، فأرسل المتوكل وراء رجال من بني طالب ، فقالوا :
إن زينب ماتت في تاريخ كذا وقد دفنت .
غير أن المرأة بقيت على ادّعائها ؛ فقال " الفتح بن خاقان " وزير المتوكل : لا يخبرك بهذا إلاّ ابن الرضا (عليه السلام) .
فأرسل المتوكل وراء الإمام الهادي وسأله عن ذلك فقال الإمام (عليه السلام) :
إن في ولد علي (عليه السلام) علامة ، وهي لا تعرض لهم السباع بسوء ، فألقها إلى السباع فإن لم تعرض لها فهي صادقة .
فأراد المتوكل امتحان ذلك بالإمام ، نزل الإمام إلى بركة السباع بكلّ ثقة ، وكانت المفاجأة حيث ظلّت السباع تبصص عند قدميه .
وهنا أمر المتوكل بإلقاء المرأة ، فصرخت مذعورة وتراجعت عن ادّعائها .

في مجلس المتوكل :

في لحظة سكر ، أمر المتوكل بإحضار الإمام فوراً ، وانطلق الجلاوزة واقتحموا الدار بقسوة ، واقتادوا الإمام إلى قصر الخلافة .



كان المتوكل يشرب الخمر ويعريد . وقف الإمام قريباً منه ، فناوله المتوكل كأساً
من الخمر .

اعتذر الإمام قائلاً : والله ما خامر لحمي و دمي .
فقال المتوكل : إذن أنشدني شعراً .
فاعتذر الإمام وقال : أني لقليل الرواية للشعر .
أصرّ المتوكل على موقفه ، فانطلق الإمام يهزه بشعر لم يكن يتوقعه أبداً :
باتوا على قلل الأجبال تحرسهم | غلب الرجال فما أغنتهم القللُ
واستنزلوا بعد عزٍّ من معاقلهم | فأودعوا حفراً يا بنس ما نزلوا
ناداهم صارخٌ من بعد ما قبروا | أين الأسرة والتيجان والحلُّ
أين الوجوه التي كانت منعمّة | من دونها تُضرب الأستار والكلُّ
فأفصح القبرُ عنهم حين ساءلهم | تلك الوجوهُ عليها الدود ينتقلُ
قد طالما أكلوا دهرًا وما شربوا | فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا
وطالما عمّروا دوراً لتحصنهم | ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الأموال وادّخروا | فخلّفوها إلى الأعداء وارتحلوا
أضحت منازلهم قفراً معطلة | وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا
وكان الشعر مؤثراً جداً . . إنَّ نهاية كل شيء هو الفناء . نهاية القصور
والطواغيت والنفوذ الشرف وكل ما يخدع الإنسان مصيره الزوال .
وهنا انفجر المتوكل باكياً ونهض إجلالاً للإمام وودّعه باحترام

استشهاد الإمام :

لقي المتوكل مصرعه في إحدى المؤامرات التي تحوكتها الأطماع ، وجاء بعد ابنه المنتصر وقد حكم ستة اشهر فقط ، ثم أعقبه خليفة آخر هو المستعين فحكم ثلاث سنوات ، وتلاه المعتز الذي عمل على اغتيال الإمام بالسم ، فمضى إلى ربّه شهيداً ، وذلك سنة 254 هجرية . وله من العمر 42 سنة ، ومرقده اليوم في مدينة سامراء قبة ذهبية تعانق السماء و مزاراً للمسلمين .

تلامذة الإمام :

بالرغم من المراقبة الشديدة والمضايقات ، فقد كان للإمام تلامذة ومريدون ، يتحمّلون الصعاب من أجل لقائه ، من بينهم :

1. عبد العظيم الحسني : وكان من كبار العلماء على جانب كبير من التقوى ، وقد امتدحه الإمام وأثنى عليه في عديد من المناسبات ، تعرض لمطاردة الحكام فاختفى في مدينة الري - جنوب طهران اليوم ، ومرقده اليوم مزار يؤمه المسلمون تبرّكاً .
2. الحسن بن سعيد الأهوازي : وكان من أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام) والإمام الجواد (عليه السلام) . عاش في الكوفة والأهواز وانتقل إلى قم حيث توفي هناك . له ثلاثون مؤلف في الفقه والآداب والأخلاق ، وكان من الثقات في الرواية والحديث .
3. الفضل بن شاذان النيسابوري : فقيه كبير ومتكلم روى كثيراً من أحاديث الإمام ، ولازم ابنه الإمام الحسن العسكري . أثنى عليه الإمام ونصح أهل خراسان بالرجوع إليه فيما يهمهم من المسائل .

من كلماته المضيئة :

- من أطاع الخالق لم يبالِ بسخط المخلوقين .
- من هانت عليه نفسه فلا تأمن شرّه .
- من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه .
- الغضب على من تملك لؤم .
- خير من الخير فاعله ، شرّ من الشرّ جالبه .

- العتاب خير من الحقد .
- قال للمتوكل : لا تطلب الوفاء ممن غدرت به .

أسئلة :

1. كيف تنبأ الإمام بهطول المطر ؟
2. لماذا بكى المتوكل ؟
3. ما هي نصيحة الإمام لأخيه ؟

هوية الإمام :

- الاسم : علي .
- اللقب : الهادي .
- الكنية : أبو الحسن .
- اسم الأب : الإمام محمد الجواد (عليه السلام) .
- تاريخ الولادة : 212 هجري .
- تاريخ الشهادة : 254 هجري .
- العمر : 22 سنة .
- محل الدفن : سامراء - العراق .

[1] صحراء .